إزاء الشرق الأوسط، وأنه تمَّ بعمل مشترك بين الحركة الصهيونية وهذا المركز الامبريالي، أو ذاك، مشكلاً، وكل في حينه، البلد الأم بالنسبة إلى المشروع. وقد جرى بناء المشروع بنهج استيطاني وبشكل تراكمي، انطلاقاً من نقطة الصفر في العلاقة بين المستوطنين والأرض المعنية ــ فلسطين؛ وكل ذلك في اطار استراتيجية تنفيذ المخططات الامبريالية الشاملة. وكان عندما تضمن الحركة الصهيونية مشاركة مركز امبريالي في مشروعها، ينحصر نشاطها داخله في صياغة استراتيجية تنفيذ مشروعه العام، بحيث تضع مصالحها المرحلية في قلب تلك الاستراتيجية. وهذا النشاط هو ما يسمى عادة «اللوبي الصهيوني». هكذا حصل في لندن، قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، واستطراداً، لفترة طويلة ابان الانتداب البريطاني في فلسطين. ثم انتقل مركز النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة، بقرار اتخذ في «مؤتمر بلتمور»، عام ١٩٤٢، ولا يزال يقبع هناك إلى يومنا هذا، حيث طور شبكة علاقاته، وكذلك نهجه وأساليب عمله، فأصبحت الولايات المتحدة تشكل البلد الأم لإسرائيل بكل معنى هذه الكلمة.

ونظراً لطبيعة العلاقة القائمة بين المشروع الصهيوني الابن، وبين المشروع الامبريالي الأم، فإن تطور الأول، وبالتالي صياغته، ظلا محكومين بإملاءات الثاني واعتباراته. والمشروع الابن، الذي لا يزال قيد الإنشاء، ولم يستكمل بناءه الذاتي بعد، بقي، وهو يعمل على تثبيت استيطانه، يسعى لربط نفسه في استراتيجية تجسيد المشروع الأم، وبالتالي، ترسيخ مبرر وجوده في المركز، عبر الدور الذي يلعبه، فعلاً أو قوةً، في خدمة المصالح الامبريالية في المنطقة. وكذلك، فإن الشراكة التي قامت بين الحركة الصهيونية والمراكز الامبريالية لم تكن بطبيعة الحال، متكافئة؛ إذ كان لا بد لها أن تعكس موازين القوى بين الشريكين، وبالتالي، أن يكون المركز هو الشريك الأكبر في المشروع الصهيوني. ويترتب على ذلك أن يكون المركز هو صاحب القرار في توجه المشروع، وهو الذي يحدد صياغته وتركيبته. ولما كانت مصلحة المركز تملي عليه أن يجعل من ذلك المشروع ثكنة عسكرية، فقد كان له ذلك، رغم كل ما قد يكون ساور القيادة الصهيونية، وبالتالي الاستيطان في فلسطين، من أوهام حول بناء دولة يهودية عادية. وهكذا، ونظراً لطبيعة الشراكة التي اقامتها مع المراكز الامبريالية، فقد وضعت الحركة الصهيونية نفسها على سكة أوصلتها إلى حيث هي اليوم، وحكمت تطور مشروعها وصولاً إلى وضعه الراهن، حيث تغلب سمة الثكنة فيه على ملامح الدولة القومية. ولكن الآلة العسكرية الصهيونية، التي صادرت مهام المؤسسات الاستيطانية، وأصبحت العمود الفقري للمشروع الصهيوني برمته، والرافعة التي تثبت الاستيطان في فلسطين، ليس بمقدورها، مهما عظمت، أن تكون البديل لذلك الاستيطان، أو على الأقل، ليس على المدى البعيد.

ضمان موقع متميز في الاستراتيجية الأميركية هو حجر الزاوية في «أمن اسرائيل القومي»

إن التنامي السريع وغير المتوازن للآلة العسكرية الصهيونية قد أدّى إلى تحريك مسارين متكاملين، وبالتأكيد مترابطين جدلياً، كان من شأن تفاعلهما أن يدفع نحو المزيد